زيـــــاد
فَوْقَ جبلِ النَّوْرَس

ينز آلبوم



دار المنى

Arabic edition © Dar Al-Muna, Stockholm 1991
Third Arabic edition
Text & Pictures © Jens Ahlbom 1986
Originally published in Sweden under the title:
"Jonatan på Måsberget" by Rabén & Sjögren
Printed in China / OmniGraf Int. AB 2004

ISBN 91 971264 1 1

Dar Al-Muna
Box 127, S-182 05 Djursholm, Sweden
Fax: 0046 8 622 61 51

يان آلبوم

زيـــــاد
فَوْقَ جبلِ النَّوْرَس

النص العربي بقلم:
منى زريقات هيننج
د. وليد سيف

دار المنى

عِنْدَما وُلِدَ «زياد» قالَ والِدُه إنه أجْمَلُ وأرْوَعُ وأذْكى وأسْعدُ طِفْلٍ في العالم. أَمّا والِدَتهُ فقالت: «إنَّ طِفْلَنا رائعُ جِداً. فَهو لا يَبْكي خِلالَ اللَّيْل، وعِنْدما أُدَغْدِغُه يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عَالٍ.»

وأكَّدَ والِدُه: «إنَّه حَقّاً سَيُصْبِحُ إنْساناً رائِعاً عِنْدما يَكْبُر. رُبَّما سَيُصْبِحُ مُخْتَرِعاً أو عالِماً أو مُكْتَشِفاً في مَيْدانِ الفَضاء.»

وكانت الأم تقول: «آه.. إنّكَ تُبالِغُ دائماً. يَكْفيني أن يكونَ «زياد» سَعيداً في حياتِه.»

أما «زياد» نفسُه فلا يذكُرُ شَيْئاً مِنْ ذلكَ الوَقْت، كل ما يَذْكُرُه أنه كان كَغَيْرِهِ مِنَ الأَطْفال.





نَشَأَ «زياد» وَتَرَعْرَعَ في بَيْتٍ يَقَعُ على جَبَلِ النَّوْرَسِ الذي يَرْتَفِعُ عالِياً قَريباً مِنَ الغُيوم. كانَتْ هناكَ أماكِنُ كثيرةٌ مثيرةٌ في البَيْت، يُمْكِنُ أن يَلْعَبَ فيها «زياد». فَهُناك مثلاً «عِلِّيَّةُ» البَيْتِ بكُلِّ ما فيها من أثاثٍ قَديم. وهُناك قَبْوُ البَيْتِ بما فيهِ من مَمَرّاتٍ مُظْلِمَة. ولكنْ، كان أَحَبُّ شيءٍ عِنْدَ «زياد»-هُوَ أنْ يَخْرُجَ في رِحْلةِ طَيَرانٍ مَعَ أبيهِ وأمِّه. فكم كانَ يُحِبُّ أن يَجْلِسَ على كَتِفَيْهما وهما يَطِيران، فَيَشْعُرُ بالرِّيحِ تَنْدَفِعُ خِلالَ شَعْرِه، ويَشْعرُ «بدَغْدَغَةٍ» في أحْشائِه عِنْدما يَنْظرُ إلى الأَسْفَل. كانَ كلُّ شَيءٍ يَبْدو صَغِيراً وجَميلاً من ذلكَ العُلوِّ الشَّاهِق.

أحْياناً، كانَ «زياد» يطيرُ مَعَ والدِهِ إلى المَتْجَرِ لِشِراءِ بَعْضِ الأشْياء. وكانَ يَزْدادُ سَعادةً حِينَ يَلْتَقي بسارة ووالِدَتِها هناك. ذلكَ أن «سارة» هي صديقةُ «زياد» المُفَضَّلَة. فكانا يَلْعَبانِ لُعبَة «الاخْتِفَاءِ والبَحْث» خلفَ رُفوفِ المُعلَّبات، ويَتَسابقانِ بِعَرَباتِ المَتْجَرِ التي يَسْتَعْمِلُها الزَّبائنُ لِوَضْعِ مُشْتَرَياتِهم. وفي أحَدِ الأيام، كَتَبَ «زياد» رِسَالةَ حبٍّ سرِّيةٍ لسارة بِمَعْجونِ الأسْنانِ على بَلاطِ المَتْجَر. بالطَّبعِ لم يَبْقَ الأمرُ سِرّاً حينَ اكْتَشَفَ والدُه ذلك. بل إنَّ والِدَه انْزَعَجَ قليلاً من هذا العَمَل.



كانَت «سارة» و «زياد» لا يَفْتَرِقَانِ تَقْريباً. وفي أَحَدِ الأَيام قَرَّرَ «زياد» أَنْ يَبْنِيَ من الْمُكَعَّباتِ أعلى بُرْجٍ في العَالم. وتَظَاهرا أَنّه حِينَ يَكْتَمِلُ بناؤُه سَوْفَ تَنْتَقِلُ «سارة» إليه، لِتَعيشَ فيهِ معَ «زياد».





قالت «سارة»: «سيكونُ بإمْكانِنا أنْ نُطِلَّ على العالَمِ كُلِّهِ من هذا البُرْجِ.»

وقال «زياد»: «وسَوْفَ نَشْعُرُ به وَهُوَ يَتَأَرْجَحُ عندما تَهُبُّ الريح. فالرِّيحُ تتحرَّكُ بِقُوَّةٍ في هذا المكانِ الْمُرْتَفِع.» وَضَعَ «زياد» آخِرَ مُكَعَّب فَوْقَ القِمَّة. وفي هذه اللَّحْظة، فَقَدَ «زياد» توازُنَه وَسَقَطَ على الأَرْضِ مَعَ الْمُكَعَّباتِ الْمُتَسَاقِطَةِ كالْمَطَر.



ضَحِكَ «زياد» قائلاً: «لا بأسَ، نَسْتَطيعُ أن نُحَلِّقَ فَوْقَ الغُيوم اذن!»

فأجابتْ «سارة»: «كيفَ يُمْكِنُكَ ان تطيرَ وانتَ لا تَمْلِكُ أَجْنِحَةً؟ سَتَقَعُ دائماً.»

شَعَرَ «زياد» بالألمِ نَتيجَةَ هذه المُلاحَظَة، فَهُوَ قَبْلَ الآن لم يَكُنْ يُلْقي بالاً لعدمِ وجودِ أجْنِحَةٍ له. وعِنْدما عادَ إلى البَيْتِ في ذلكَ اليَوْمِ، وَقَفَ أمامَ المرآةِ الكبيرةِ في غُرْفَةِ الجُلوس. وَتَنَهَّدَ بِأَسَف، وقالَ لِنَفْسِه: «نعم، هذا صحيح. «سارة» لها أجْنِحَة. وكذلكَ أمي وأبي والجَميع، ما عَدايَ انا.» وَشَعَرَ بِغَصَّةٍ في حَلْقِه.



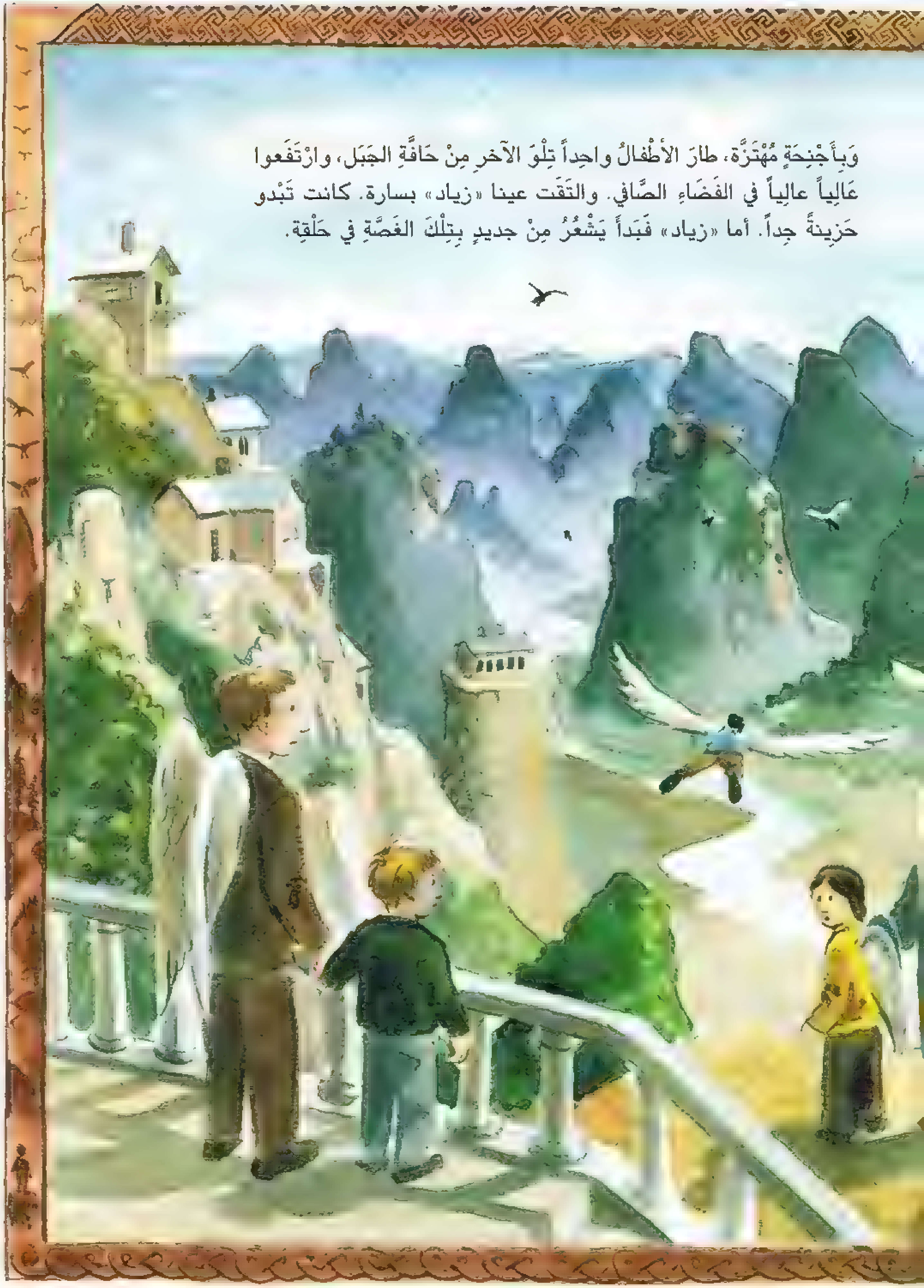


أَحَسَّتْ والِدَتُهُ بما يَشْعُر، فَأَخَذَتْهُ إلى حضْنِها وَضَمَّتْهُ إليها وقالت: «زياد» إنَّ الحياةَ لَيْسَتْ سَهْلَةً دائماً. فَهِيَ قد تكونُ صَعْبَةً جداً في بَعْضِ الأحْيان. وَرُبّما صارَتْ أكْثَرَ صعوبةً بالنِّسْبَةِ إليْك، لأنَّكَ لا تَمْلِكُ أَجْنِحَة. ولكنْ، يَجِبُ أَن تَتَعَلَّمَ كيفَ تَتَعايَشُ مَعَ هذه الحَقِيقَة وَتَتَغَلَّبُ على مَصَاعِبِها. تَذَكَّرْ شَيْئاً واحِداً هاماً. إنكَ لَسْتَ أقل من غَيْرِك في أيِّ حَالٍ من الأحْوال. وَنَحْنُ نُحِبُّكَ كثيراً جداً.»

ومع ذلك، لم يَمْلكَ «زياد» إلاَّ أن يَشْعُر بالحُزْن والْوَحْدةِ حِينَما جاءَ اليومُ الذي سَيُجَرّبُ فيه الأَطْفالُ أجْنِحَتَهم في الطَّيران لِلْمَرَّةِ الأُولى. وَوَقَفَ الأَطْفالُ جَميعاً في انْتِظار أدْوارِهم بِتَلَهُّفٍ وَسَعادة.



وَبِأَجْنِحَةٍ مُهْتَزَّة، طارَ الأطْفالُ واحِداً تِلْوَ الآخرِ مِنْ حَافَّةِ الجَبَل، وارْتَفَعوا عَالِياً عالِياً في الفَضَاءِ الصَّافي. والتَقَت عينا «زياد» بسارة. كانت تَبْدو حَزِينةً جِداً. أما «زياد» فَبَدأَ يَشْعُرُ مِنْ جديدٍ بِتِلْكَ الغَصَّةِ في حَلْقِهِ.



قَضَى الأطْفالُ فَصْلَ الصَّيفِ كُلَّهِ وهم يَتَمَرّنونَ على الطَّيَران جَميعُهُم إلاّ «زياد». عندما جاءَ الخريفُ بَدأَتِ المَدْرَسَة، ولكنْ كانَ على «زياد» أَنْ يَبْقى في البَيْت. إذْ كيفَ يُمْكِنُه الوصُولُ إلى المَدْرَسَةِ، وَهِيَ تقومُ على قِمَّةِ جَبَلٍ مُرْتَفِعٍ كَغَيْرِها مِنَ الأَبْنِيَة؟ كما أَنَهُ صارَ أكْبَرَ وأَثْقَلَ مِنْ أنْ يَحْمِلَه والِداه على كَتِفَيْهما ويَطيرا به. مِسْكينٌ «زياد»! لَنْ يَسْتَطِيعَ بَعْدَ الآن أَنْ يَشْعُرَ بالرِّيحِ تَنْدَفِعُ خلالَ شَعْرِه، أو بتلكَ «الدغْدَغَةِ» في مَعِدَتِهِ حينما يَنْظُرُ إلى الأَرْض.



كذلكَ لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِ أصْدِقاءُ يَلْعَبونَ مَعَه. أحْياناً كانَ يَظُن أنَّ الآخرينَ يَتَهامَسُونَ بِهِ ويُشِيرونَ إليه بَيْنَما هُمْ يَطِيرون. وكان يُحَدِّثُ نفْسَه قائلاً: «لا بدَّ أنَّهم يَعْتَقدونَ أنَّني غبيٌّ لِأنَّني لا أسْتَطِيعُ الطَّيَران.» كانت «سارة» هِيَ الوحيدةَ الَّتي تزورُهُ أحْياناً بَعْدَ عودَتِها من المَدْرَسة. ولكنَّهُ كان يقولُ لِنَفْسِه: «لَعَلَّها تلعبُ مَعِي فَقَطْ لِأنَّها تُشْفِقُ عليّ، وتريدُ أن تكونَ لَطِيفة!» وما يَلْبَثُ أن يَصْرُخَ بها قائلاً: «طِيري بَعيداً من هنا! أريدُ أن أبْقى وَحْدي.» ولكِنْ، بعد أن تَذْهَبَ «سارة» كان يَشْعُرُ بالمَزِيدِ من الوَحْدَةِ والوَحْشَة.

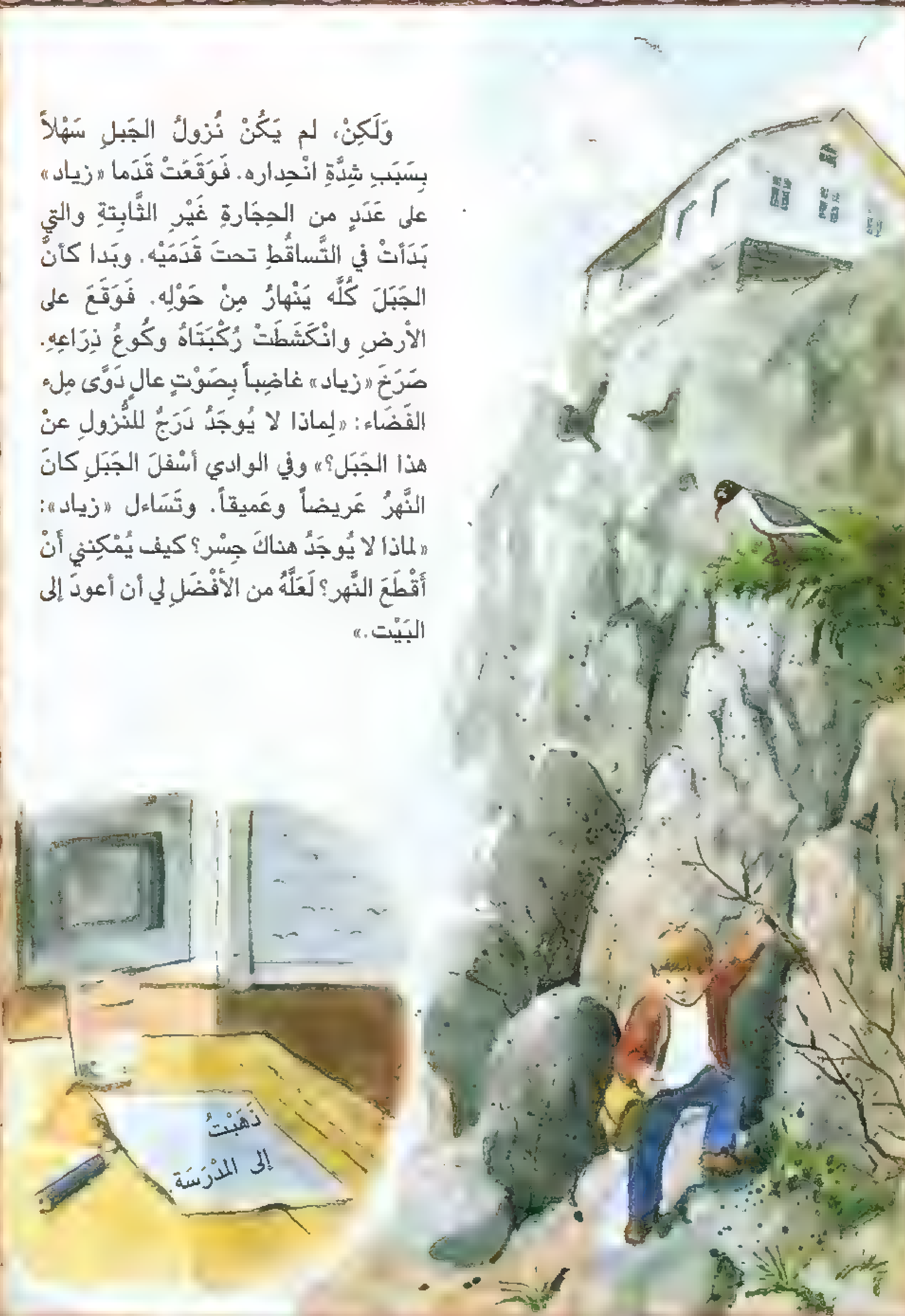




وفي صَباحِ أحَدِ الأيّام قَرَّرَ «زياد» أن يُواجِهَ مُشْكِلَتَهُ ويَعْمَلَ شَيْئاً. وقالَ لِنَفْسِه: «لا.. لن أجْلسَ هنا وحِيداً وأرثي لِحالي. فأنا لا أقِل عن الآخرين، ولِي ساقانِ أسْتَطيعُ المَشْيَ بِهِما إلى المَدْرسة.»

لم تَكُنِ المَدْرسةُ بعيدةً جداً. فالوصولُ إليها يَحْتاجُ الى نُزولِ الجَبَل، وَقَطْعِ الوادي، ثُمَّ قَطْعِ النَّهر، ثُمَّ صُعودِ الجَبَلِ التالي إلى قِمَّتِه. وهكذا جَمَعَ «زياد» كُتُبَه، وَتَرَكَ مُذَكِّرَةً لِأُمِّهِ كَتَبَ فيها: **لقد ذَهَبْتُ إلى المَدْرَسَة.**

وَلَكِنْ، لم يَكُنْ نُزولُ الجَبلِ سَهْلاً بِسَبَبِ شِدَّةِ انْحِداره. فَوَقَعَتْ قَدَما «زياد» على عَدَدٍ من الحِجَارةِ غَيْرِ الثَّابِتَةِ والتي بَدَأَتْ في التَّساقُطِ تحتَ قَدَمَيْه. وبَدا كأنَّ الجَبَلَ كُلَّه يَنْهارُ مِنْ حَوْلِه. فَوَقَعَ على الأرضِ وانْكَشَطَتْ رُكْبَتَاهُ وكُوعُ ذِرَاعِهِ. صَرَخَ «زياد» غاضِباً بِصَوْتٍ عالٍ دَوَّى مِلءِ الفَضَاء: «لِماذا لا يُوجَدُ دَرَجٌ للنُّزولِ عنْ هذا الجَبَل؟» وفي الوادي أسْفلَ الجَبَلِ كانَ النَّهرُ عَريضاً وعَميقاً. وتَساءل «زياد»: «لماذا لا يُوجَدُ هناكَ جِسْر؟ كيف يُمْكِنني أنْ أَقْطَعَ النَّهر؟ لَعَلَّهُ من الأَفْضَلِ لي أن أعودَ إلى البَيْت.»



فَجْأَةً لَمَح «زياد» طَوْفاً خَشَبِياً فَوْقَ الماء. كان مَصْنوعاً من جُذوعِ الشَّجَرِ التي يُشَدُّ بَعْضُها الى بَعْضٍ بالحِبال. وكانَ هُناك أيضاً عَصا تُسْتَخْدَمُ كالمِجْذاف. يا له من حَظٍّ حَسَن! وَمِنْ حُسْنِ الحظِّ أيْضاً أَنَّ النَّهرَ كان يَنْسابُ بِبُطْءٍ وَهُدوء، ولم تَكُنْ هُناك ريحٌ قوية. وهَكذا وَصَلَ «زياد» إلى الجِهَةِ الأُخْرى بِسُهولةٍ وَيُسْر، وَلكنَّهُ وَجَدَ مَشَقَّةً في الصُّعودِ إلى ضَفَّةِ النَّهرِ بِسَبَبِ الصُّخورِ الكَبيرةِ المُنْتَشِرَةِ هناك. فقد سَبَّبَتْ له ألماً في قَدَمَيْه. وتساءَلَ «زياد» مُتَنَهِّداً: «لماذا لا تُوجدُ طريقٌ سالِكَةٌ هنا. إنني لا أَسْتَطيعُ فَهْمَ ذلك.» إلاّ أنَّهُ تَحامَلَ على نَفْسِهِ، وتابَعَ السَّيْرَ عَبْرَ الوادي صَاعِداً صَخْرَةً وهابِطاً عن أُخْرى، حَتى وَصَلَ إلى قاعدةِ الجبلِ الذي تَقَعُ المَدْرَسةُ على قِمَّتِه.





هُنَاكَ وَقَفَ «زِيَاد»، وَصَعَّدَ بَصَرَه إلى الأَعلى، ثَانِياً عُنُقَه إلى الخَلْفِ. بَعِيداً على قِمَّةِ الجَبَلِ الشَّاهِقِ بَدَتِ المَدْرَسةُ مِثْلَ قَلْعَةٍ صغيرةٍ مُحَصَّنة، على رَأسِ جِدارٍ يكادُ يكونُ عَمُودياً.

نَظَرَ «زياد» دون أَنْ يُصْدِر صَوْتاً واحداً، وَشَعَرَ بِتِلْكَ الغَصَّةِ تَكْبُر وتَنْمو في حَلْقِهِ، حتى أَوْشَكَ أن يَبْكي. ولكنَّهُ تَمالَكَ نَفْسَه، وبدلاً من ذلك رَكَلَ بقَدَمِهِ حَجَراً بِكُلِّ ما أُوتِيَ مِنْ قُوَّة، فَارْتَطَمَ الحَجَرُ بالجَبَلِ مُحْدِثاً صَوْتاً مَكْتوماً.

وهنا سَمِعَ «زياد» صَوْتاً يقولُ له: «أنا أَعْرفُ كيفَ تَشْعُر. فهذا المكانُ لم يُبْنَ لأَشْخاصٍ مِثْلنا.» اسْتدارَ «زياد» لِيرَى رَجُلاً عَجُوزاً يَنْظُرُ إلَيْه. كان وجهُهُ المليءُ بالتَّجاعيدِ يَبْدو مثل خَوْخَةٍ يابسَة. وَشَعَرَ «زياد» بِشَيءٍ من الخَوْف. ولَكِنَّ الرَّجلَ العجوزَ بدا ودوداً، وكانت الطِّيبةُ تَظْهَرُ في عَيْنيه. وسأَلَهُ «زياد» وَهُوَ يَتَفَحَّصُهُ بِمَزِيدٍ من الاهْتِمام: «ألا تَسْتَطيعُ أَنْ تَطِيرَ أنتَ أيضاً؟ إنَّ لك جناحَيْن كالآخَرين!». أجابَ الرجلُ العجوز: «إن جَنَاحيَّ ضَعِيفَان هذهِ الأيام. فَهُما لم يَعُودا قادِرَيْنِ على الارْتِفاعِ بي.» قال «زياد»: «وأَنَا الذّي كنتُ أَعْتَقِدُ بأنّي الوحيدُ الذي لا يَسْتَطيعُ الطَّيرانَ في هذا العالم!» قال العجوز: «لا، أبداً. هناك الكثيرونَ من أمثالِنا. ولكنَّ الآخرينَ لا يَفْطَنون إلينا، إننا نعيشُ كالأَشْباحِ هنا على الأَرْض.»



وَقَفَ «زياد» مَشْدوهاً لِسَماعِ تلكَ الحَقِيقَة. إذن فَهُوَ ليسَ الوحيدَ الذي يُواجِهُ تِلْكَ المُشْكِلة.

وَتَساءَلَ «زياد» مِنْ جَديد: «ولكنْ، إذا كانَ ما تقُولُه حَقِيقَة، لِماذا تُوجَدُ كُلُّ المدارسِ والبيوتِ والمَتاجرِ فَوْقَ قِمَمِ الجبال؟». أجابَ العجوزُ قائلاً: «لأنَّ الأمْرَ كانَ هكذا دائماً.»

وتابع «زياد» السؤالَ قائلاً: «ولكنْ، لماذا لم يَقُمْ أَحَدٌ بِبناءِ الأَدْراجِ والجُسورِ والطُّرُقِ لأولئكَ الذينَ لا يَسْتطيعونَ الطَّيَرَان؟»

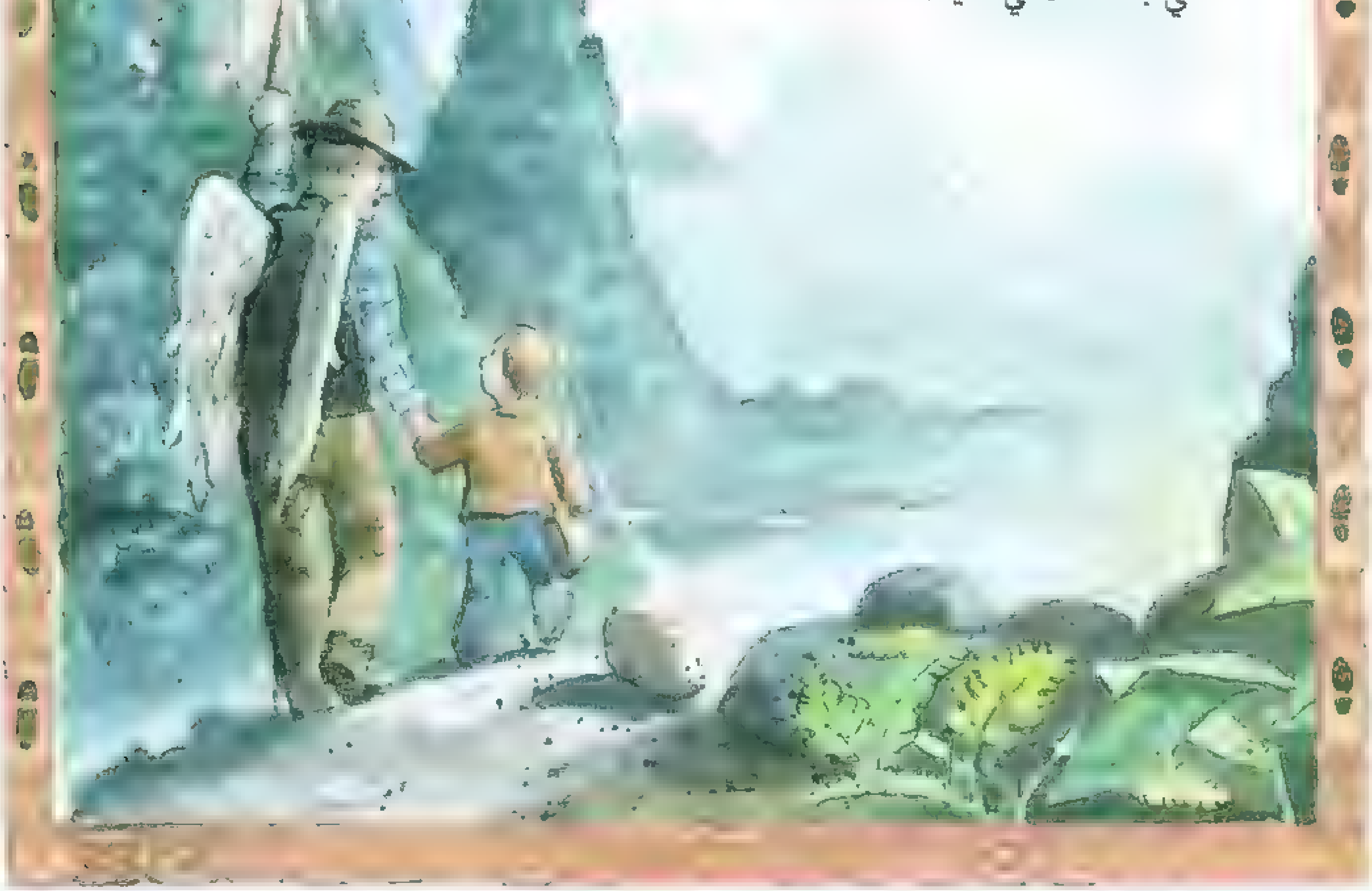
أجابَ الرجلُ العَجوز: «لأن الذينَ يُقَرِّرون هذه الأمورَ لا يَتَفَهَّمونَ حالَ الذين لا يَسْتطيعونَ الطَّيرانَ من أمْثالِنا.»

قال «زياد»: «إذن، علينا أَنْ نَشْرَحَ لَهُمْ ذلك. ولا يَجِبُ أن نَنْسَى أنهم أَيضاً سَيَهْرَمونَ وَيَصيرونَ ضِعافاً في آخِرِ الأمر.»

قال الرجلُ العجوزُ ضاحِكاً: «أنتَ ولدٌ ذَكِي. ولكنْ حينما يَهْرَمُ هؤلاءِ الَّذينَ يَتَّخِذُونَ القَراراتِ الآن، سَيَحِلُّ مكانَهُمْ آخرون يَتَّخِذونَ القراراتِ بَدَلاً عنهم. تعالَ معي الآن. سَأمْشي مَعَكَ إلى البَيْت. إنني أعيشُ مثلَكَ على الجانب الآخَر من النَّهر. إنَّ الطَّوْفَ الذي اسْتَعْمَلْتَهُ لِقَطْعِ النَّهْر هُوَ طَوْفي. يُمْكِنُنا أنْ نَتَحَدَّثَ أَكْثَرَ فيما بعد. أمّا الآن، فَدَعْنا نُسْرِعْ حتى لا تَقْلَقَ أُمُّكَ عَلَيْك.»

عِنْدمَا وَصَلَ «زياد» الى البَيْتِ وَجَدَ أُمَّهُ شديدةَ القَلَقِ والغَضَبِ في الوَقْتِ نَفْسِه. وَقَالَتْ له مُؤَنِّبَةً: «عِدْني ألاَّ تقومَ بهذِهِ المُخاطَرةِ مَرَّةً أُخرى. ماذا لو أنَّكَ هَوَيْتَ عن الجَبَلِ إلى هُوَّة الوادي؟ ماذا لو أنَّكَ غَرِقْتَ في النَّهر؟»

قال «زياد»: «لَمْ يَكُنْ هناكَ أيُّ خَطَر. لقد اسْتَعْمَلتُ طَوْفاً جيداً. كلُّ ما في الأمْرِ أنَّني بَلَّلْتُ قَدَمَيَّ قليلاً.»







أَمّا «سارة» فكانَتْ تعيشُ وقْتاً صَعْباً في المَدْرَسَة. فَقَدْ كانَتْ تَشْعُر بالفَراغِ والوَحْدةِ بدون «زياد». فَلَطَالما قَضَتْ أوقاتاً سعيدةً مَعَ «زياد» في السّابق.

تَكْ! وأصابَتْ طائرةٌ وَرَقِيَّةٌ أَنْفَ «سارة» فَقَفَزَتْ في مَكانِها، وَسمِعَتْ من ورائِها صَوْتاً ضاحِكاً. كانَ ذلكَ «مروان».

صَرَخَتْ «سارة» به قائلة: «أنت، أيُّها المُزْعِجُ الَّذي يَسْتَقْوي على الآخَرين! سَوْفَ أردُّ عليكَ الضَّرْبة.» وَأَسْرَعَتْ «سارة» الى التقاطِ الطّائرةِ الوَرَقِيَّةِ عن الأرْض، وَهُنا وُلِدَتْ في ذِهْنِها فكرةٌ مُعَيَّنة – فكرةٌ عظيمة.

وَقالَتْ لِنَفْسِها وهي تَضُمُّ الطّائرةَ الوَرَقِيَّةَ إلى صَدْرِها: «لقد عَرَفتُ الآنَ كَيْفَ يُمْكِنُ «لزياد» أَنْ يصِلَ إلى المَدْرَسة.» وعندما انْتَهى وَقْتُ المَدْرَسةِ طَارَت «سارة» بِأقْصى سُرْعتِها الى بَيْت «زياد» لِتُخْبِرَهُ بِخِطّتِها.



عندما وَصَلَتْ «سارة» كان «زياد» مُنْهَمِكاً في حَفْرِ دَرَجٍ على مُنْحَدَرِ الجَبَل. وَصَاحَتْ «سارة»: «زياد»! نَسْتطيعُ أَنْ نَفْعَلَ شيئاً يُمَكِّنُكَ من الطَّيَران.» وهَبَطتْ «سارة» على صَخْرةٍ كبيرة، ثم أَخْرَجَت الطائرةَ الوَرَقِيّةَ من حَقيبَتِها المَدْرَسِيَّةِ وقالت: «انْظُرْ! سوف نبني أجْنِحةً لكَ مِثْلَ هذه، ولكنْ أَكْبَر، انْظُرْ!». وَقَذَفَتْ «سارة» بالطَّائرةِ الوَرَقِيّةِ في الهواء، من حافّةِ المُنْحَدَرِ الصَّخْرِيِّ. صاحَ «زياد» فَرِحاً: «فكرةٌ رائِعَة! يا لَها من فكرةٍ رائِعَةٍ مُدْهِشَة!» وَلَمَعَتْ عَيْناهُ بِبَريقِ الأَمل، وتابَعَ كلامَهُ قائلاً: «سيكونُ باسْتطاعتي أن أطير!» هَزَّتْ «سارة» رأسَها بالْموافَقَة، ووقفَ الاثْنان صَامِتَيْن وهما يُراقبانِ الطَّائرةَ الورقيةَ تطيرُ بعيداً بعيداً حتى غابَتْ عن الأَنظار. ثم أَخَذَ كلٌّ مِنْهما بيَدِ الآخر وَرَكَضا نحوَ البَيْتِ لِيُخْبِرا وَالِدَيْ «زياد» بالفِكْرة.

في تِلْكَ الليلةِ مكثَ والِدا «زياد» يُفَكّرانِ حتّى ساعةٍ مُتَأَخِّرة. كانا يَعْمَلان على وَضْعِ تَصْميمٍ مُناسِبٍ لِلْجناحَيْن. لم يكن الأمرُ هَيِّناً. إذ يجبُ أن يكونَ الجَناحان كبيرَيْنِ إلى حَدٍّ كافٍ لحَمْلِ «زياد» في الفَضَاء، ومَعَ ذلك يَجِبُ أيْضاً ألاّ يكونا ثَقيلَيْن.





اليومُ التالي كان يومَ عُطْلَةِ الأسبوعِ. وشارَكَ الجميعُ في صُنْعِ الجناحَيْن. قامت أمُّ «زياد» بِرَسْمِ التَّصْميمِ على قِطْعَةِ قماش، بَيْنما عَمِلَتْ أم «سارة» على خِياطةِ القِطَعِ بآلَةِ الخِياطَة. أما «سارة» و«زياد» فَساعدا والدَ «زياد» في صِناعةِ إطارٍ من قُضْبان «الألمنيوم» الخَفيف.

وفي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ من الليْلِ انْتهى الجَميعُ من صُنْعِ الجَناحَيْن. كانا جَناحَيْن أحْمَرَيْنِ بَرّاقَيْن مُثَبَّتَيْن في إطارٍ مَعْدنيٍ قويّ.



أخيراً قالَ والدُ «زياد»: «سَننامُ الآنَ في انْتِظارِ الغَد. غداً نرى ما إذا كُنّا سَنَجْرؤُ على تَجْرِبةِ الجَناحَيْن.»

لم يَنَم «زياد» كثيراً تلك اللَّيْلَة. كان يَتَرقَّبُ الغَدَ وما يُمْكِنُ أن يَحْدُثَ فيه. كيف سَتَجْري الأمورُ غداً؟ هل يَتَمَكَّنُ الجناحان من حَمْلِهِ عالِياً في الفَضاء؟



على حافَّةِ المُنْحدرِ الصَّخْرِي حيثُ وَقَفتْ «سارة» ذاتَ مرَّةٍ لِتُجرِّبَ جناحَيْها، قام «زياد» بتثبيتِ جَناحَيْهِ الجديدَيْنِ مُسْتَعِدّاً للتَّجربة. وَوَقَفَ والدُه قريباً من الحافّةِ وهو يُمْسِكُ بِطَرَفِ حبلٍ طويلٍ مربوطٍ حَوْلَ خَصْرِ «زياد». كانت الخُطَّةُ أن يَطيرا معاً. إذ لو طارَ «زياد» وحدَه فَمِنَ المُمْكِنِ أن يَهْوي إلى الوادي ويَتحَطَّمَ كما يحدُثُ للطَّائرةِ الوَرَقيّةِ التي لا يُمْسِكُها أحدٌ بِخَيْط. أما إن طارَ معه أحدٌ وهو يمْسِك بالحَبْلِ المَوْصُول به، فسَيَكونُ بإمْكانه أن يَطيرَ بِقَدْرِ ما يَشاء، كما تطيرُ طائرةُ الورقِ المَمْسوكةِ بالخَيْط.

صاحَ والدُه قائلاً: «استعد! فسوفَ نطيرُ الآن.» وقَفَزَ الوالدُ من على حافّةِ المُنْحَدر. رَكَضَ «زياد» بعضَ الأمتار خَلْفَ والدِهِ ثُمَّ تجاوزَ الحافّة. وما لَبِثَ أن شَعَرَ بالرّيحِ تملأُ الجناحَيْن وترفَعُهُ إلى الأعلى.

حدّثَ نَفْسَه أولاً: «إنني أطير.» ثم صَاحَ بِنَشْوةٍ غَامِرَة: «إنّي أطير.. إنّي أطير.» ودوّى صدى صَوْتِهِ بين الجِبال، وأطلَّ الناسُ من بُيُوتِهم لِيَرَوْا ما يَحْدُث.



نَظَرَ «زياد» إلى الأسْفل، فبدا له النَّهرُ مثلَ شَريطٍ فاتحِ الزُّرقَة. وهنا تَذَكَّر رِحْلتَه الشاقَّةَ الى المَدْرَسَة. وحدَّثَ «زياد» نفسَه قائلاً: «وَمَعَ ذلك مازِلْنا بِحاجةٍ إلى دَرَجٍ وجِسْرٍ وطَريق. حينما أَكْبَرُ سوفَ أعَملُ ما في وُسْعي لِبناءِ هذه الاشْياءِ جَميعاً.»

ثُمَّ هَتَفَ بأبيهِ مُبْتَهِجاً: «انْظُرْ! إنني أسْتَطيعُ القيادةَ وتوجيهَ طَيَراني أيضاً! إلى الأعلى، وإلى الأسفلِ وإلى الجانِبَيْن، وذلك حَسْبَ الجهات التي أميلُ بِجِسْمي نَحْوَها.»

ثم قام «زياد» بعمليةِ هُبوطٍ بارعةٍ وَسْطَ رفاقِه. ودوَّى تَصْفيقُهم له حتى سُمِعَ في أرجاءِ الوادي.

وقال والِدُه بِفَخْرٍ واعْتزاز: «ألا تَذْكرونَ ما قُلْتُه يوماً أَلَمْ أَقُلْ إنه سيكونُ ولداً رائعاً! انه الولدُ الوحيدُ في العالم الذي يَمْلِكُ جناحَيْن أَحْمَرَيْن. انْظُرا كيفَ يَلْمَعانِ تحتَ الشَّمس!»

هَمَسَت سارة: «غداً نَطِير الى المَدْرَسة معاً.»





وهَكذا كان. عاد «زياد» و«سارة» صديقين لايَفْترقان، كَأحْسَنِ ما يكونُ الأَصْدِقاءُ في السرّاءِ والضرّاء. إنَّهما الآنَ يطيرانِ إلى المَدْرَسةِ معاً.

عندما هَبَطا الى سَاحة المَدْرَسة نَظَرَ «مروان» الى «زياد» بصَلَفٍ وَتَرَفُّع، وقال: «يا لَمَنْظَرِكَ العجيب! ما هَذانِ الجناحانِ المُضحِكان؟»

ولكنَّ «زياد» لم يَكْتَرِثْ لذلك. فما أروعَ أن يكونَ من جَديدٍ مع بقيةِ الأطْفال، يَضْحكونَ ويَمْزَحونَ ويَلْهون. بل كانَ الأمْرُ يَصِلُ أحْياناً الى حدٍ يُزْعِجُ المُعلِّمة.



وفي طريقِ العودةِ من المَدْرَسَة، طارتْ «سارة» و«زياد» مع بقيّةِ الأطْفال. وهُناكَ في الفَضاءِ العالي بين الغُيُوم، لَعِبوا لُعْبةَ القَفْزِ بالحَبْلِ المرْبُوطِ على خَصْر «زياد».

وفي البَيْتِ القائمِ على جبلِ النَّوْرس، وَقَفَ والِدا «زياد» يُراقبانِ الأَطْفالَ يلْعَبون. وقالت الأم: «انْظُرْ كم يَسْتَمْتِعونَ باللَّعبِ معاً! لم يَعُدْ «زياد» وحِيداً الآن.»





إذا حَدثَ أَنْ طِرْتَ يوماً فوقَ جَبَلِ النَّوْرس، وَمَرَرْت بِبَيْتِ « زياد » في سَاعةٍ مُتأخرةٍ في المساء، فَسَوْف تَرى ضَوْءاً يَنْبَعِثُ من النَّافذة. إنَّهُما « زياد » ووالدُه يَرْسُمَان ويُصَمِّمانِ وَيبْنِيان. إنَّهما يَبْنِيانِ شَيْئاً جديداً. ماذا تظنُّ أنه سيكون؟!



دار المنى